

تفسير البحر المحيط

@ 125 { الرَّحْمَدُ * اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } ، والتحميد هنالك على سبيل
اللذة ، لا التكليف . وفي الحديث : (يلهمون التسبيح والتقديس) . وقرأ ابن محيصن : ما
تكن ، بفتح التاء وضم الكاف . .
{ وَلِلَّهِ الرَّحْكُمُ } : أي القضاء بين عباده والفصل . و { أَرَاءَيْتُمْ } : بمعنى
أخبرون ، وقد يسלט على الليل { أَرَاءَيْتُمْ } و { جَعَلَ } ، إذ كان منهما يقتضيه ،
فأعمل الثاني . وجملة أرايتم الثانية هي جملة الاستفهام ، والعائد على الليل محذوف
تقديره : من إله غير الله يأتاكم بضياء بعده ، ولا يلزم في باب التنازع أن يستوي
المتنازعان في جهة التعدي مطلقاً ، بل قد يختلف الطلب ، فيطلبه هذا على جهة الفاعلية ،
وهذا على جهة المفعولية ، وهذا على جهة المفعول ، وهذا على جهة الطرف . وكذلك أرايتم
ثاني مفعولية جملة استفهامية غالباً ، وثاني جعل إن كانت بمعنى صير لا يكون استفهاماً ،
وإن كانت بمعنى خلق وأوجد وانتصّب ما بعد مفعولها ، كان ذلك المنتصّب حالاً . و {
سَرْمَدًا } ، قيل : من السرمد ، فميمه زائدة ، ووزنه فعل ، ولا يزداد وسطاً ولا آخراً
بقياس ، وإنما هي ألفاظ تحفظ مذكورة في علم التصريف . وأتى { بِضِيَاءٍ } ، وهو نور
الشمس ، ولم يجء التركيب بنهار يتصرفون فيه ، كما جاء { بِرَّيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ }
، لأن منافع الضياء متكاثرة ، ليس التصرف في المعاش وحده ، والظلام ليس بتلك المنزلة ،
ومن ثم قرن بالضياء . { أَفَلَا تَسْمَعُونَ } ؟ لأن السمع يدرك ما يدركه البصر من ذكر
منافعه ووصف فوائده ، وقرن بالليل . { أَفَلَا تُبْصِرُونَ } ؟ لأن غيرك يبصر من منفعة
الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه ، قال الزمخشري . و { مِّن رَّحْمَتِهِ } ، من هنا
للسبب ، أي وبسبب رحمته إياكم ، { جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } ، ثم علل جعل
كل واحد منهما ، فبدأ بعلة الأول ، وهو الليل ، وهو : { لَتَسْكُنُوا فِيهِ } ، ثم
بعلة الثاني وهو : ولتبتغوا من فضله ، ثم بما يشبه العلة لجعل هذين الشيئين وهو :
{ وَلَتَبْدَأُوا مِن فَضْلِهِ } ، ثم بما يشبه العلة لجعل هذين الشيئين وهو :
{ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } ، أي هذه الرحمة والنعمة . وهذا النوع من علم البديع يسمى
التفسير ، وهو أن تذكر أشياء ثم تفسرها بما يناسبها ، ومنه قول ابن جوش : % (ومقرطق
يغني النديم بوجهه % .
عن كأسه الملى وعن إبريقه .
(% (فعل المدام ولونها ومذاقها % .

في مقلتيه ووجنتيه وريقه .

. %)

والضمير في { فيه } عائد على الليل ، وفي { فاضليه } يجوز أن يكون عائداً على
الـ ، والتقدير : من فضله ، أي من فضل الـ فيه ، أي في النهار ؛ وحذف لدلالة المعنى ،
لدلالة لفظ فيه السابق عليه . ويحتمل أن يعود على النهار ، أي من فضل النهار ، ويكون
أضافه إلى ضمير النهار على سبيل المجاز . لما كان الفضل حاصلًا فيه ، أضيف إليه ، كقوله
: { بل مكر السيل والذهار } .

{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ
تَزْعُمُونَ * وَزَعَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا
يَفْتَرُونَ * إِنَّ قَارُونَ * كُلُّ مَن * قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ
وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي
الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا (سقط : لا تفرح إن الـ لا يحب الفرحين إلى آخر
الآية) { .